



المغرب بعيون ديلاكروا: بلد التنوع الثقافي والديني

ديلاكروا وثق بلوحاته صورة مشرق مختلف عن ذلك الذي يتهببه الغرب ويشعر بالفوقية إزاءه



لوحة زفاف يهودي في المغرب التي رسمها ديلاكروا في عام 1839 قدمت صورة مختلفة عن الشرق المتسامح

وبالنسبة لها، فإن رحلة 1832 كان لها تأثير حاسم ليس فقط على لوحة ديلاكروا ولكن أيضا على كتاباته، مبرزة المقارنة الإبداعية بين الفئتين اللذين سيطرا على نضجه.

وقدمت هوش مذكرات مكتسب وطنجة، حيث خلط ديلاكروا الرسومات والكلمات، والنصوص والصور التي "أضحت غير قابلة للفصل".

ويذهب الأستاذ الجامعي لمحمد الساموري في ذات السياق مشيرا إلى أن المذكرات المغربية لديلاكروا، إلى جانب نطاقها التاريخي والوثائقي، هي مجموعات حقيقية من الأفكار والمشاعر الفنية. وقال "في هذه المذكرات، نلاحظ أن المجسمات والرسومات يتم خلطها معا، ويمكننا أن نستنتج أن الرسام كان في لحظات قليلة من رحلاته على عجل (بالنظر إلى كتاباته)".

ومن جهتها، قالت ماري بيير سالي المحفظة الرئيسية بقسم الفنون التصويرية بمتحف اللوفر بباريس، في مداخلة بعنوان "ديلاكروا، بورتري، شاركوت: مذكرات رحلات إلى المغرب"، إنه عند بيع ورشة أوجين ديلاكروا سنة 1864، تعرضت مذكرات واليوميات الرحلة، السبعة، إلى شمال أفريقيا وإسبانيا للتشتت، تم التعرف اليوم على خمسة منها وتحديد مكانها. وأوضحت أن ثلاثة منها توجد حاليا في قسم الفنون التصويرية باللوفر.

وأضافت أن فيليب بورتري، الذي كان صديقا للرسام، "أقتنى أروع وأهم المذكرات السبع التي تضم نصوصا ورسومات تعيد رسم ذكريات هذه الرحلة المهمة".

وأشارت إلى أن الدكتور جين مارتان شاركوت المختص في علم الأعصاب المولع بالفنون، لقد أعجب بمذكرة ديلاكروا لدى بورتري الذي خول له حق الانتفاع بها.

وأكدت بنزينة في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء أن ديلاكروا لم يكن يستخدم من قبل هذه الألوان الخالية، حيث كان يستخدم في فرنسا ألوانا باهجة وأكثر واقعية، لكن عند قدومه إلى المغرب، الزاخر بالأصواء والألوان التي يطغى عليها الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض والتي أشعرته بالسعادة، بدأ يغير الألوان التي يستعملها في الرسم.

ومن وجهة نظر فلسفية، قال ربيع روياني الأستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بفاس، إن الرؤى المتناقضة تعد إشكالية من إشكاليات الصداقة والتصور تعيد إلى الأذهان أن النظر يعكس نظرة المتأمل وثقافته وخلفيته الأيديولوجية وميولاته النفسية، وليس الشيء المنظور إليه.

تلقت ميشيل هوش أستاذة اللغة الفرنسية بجامعة ميشيغان الأميركية والمتخصصة في الحقبة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر، إلى أن "في الذكريات التي أعادها الرسام خلال رحلته إلى المغرب، لعبت الكتابة دورا مهما مثل اللوحة"، مضيفة أن "العديد من المذكرات والقصص والأوراق المنفصلة تشهد على جهد أدبي كبير لترجمة تجربته".

الكتابة مثل اللوحة

على عكس الرسم، سمحت الكتابة بحرية تتوافق مع الرسام الماهر، لكن من ناحية أخرى، تقول إن الصورة الواحدة يمكنها أن تعبر أكثر من مجلدات الوصف وأن تنقل المشاعر بقوة أكبر. وتطرق أيضا إلى كتابات أوجين ديلاكروا عن المغرب العربي، مشيدة بالكتابة التجريبية والإبداعية التي قد تحتوي في الوقت نفسه على انعكاس للعلاقة بين الكتابة والرسم والنص والصورة.

للمغرب، شديد الولوج بالشرق، فراودته نفسه أن يشد إليه الرحال متسائلا، فكانت هذه الزيارة صادمة بقدر ما كانت قاتنة له في أن معا. واعتبر أن المغرب بلد متنوع بالصوفية وبغن عيش غني بالقيم والحرية.

ويعد أن ذكر بدور ديلاكروا المتمثل يومئذ في مراقبة البعثة الدبلوماسية الفرنسية، أبرز الصقلي ناي الرسام الفرنسي بنفسه عن الاستشراق التصويري السائد حينئذ بإبداع عمل فني يظهر السلطان مولاي عبدالرحمن خارجا من قصره بمكناس، في رؤية زاخرة بالخيال مشرق مختلف عن ذلك المشرق الذي يتهببه الغرب ويشعر بالفوقية إزاءه.



المهدي قطبي
دولاكروا نقل ثقافة المغرب والوانه وأنواره إلى الغرب

وذهبت في ذات السياق فابيزة بنزينة أستاذة تاريخ الفن بجامعة العلوم الإنسانية والاجتماعية بنونس، مشيرة إلى أن ديلاكروا الذي كان ناقلا للأخبار عن المغرب، أصبح صلة وصل لدى الرأي العام الغربي وشاهدا بواسطة الفن على حضارة أخرى، ومكنت أعماله من إرضاء الرأي العام بالغرب التواق للقاء المشرق الذي يراود مخيلته. وأضافت أن ديلاكروا لبس هذه التوقعات بلوحاته الرائعة التي مزجت بين "الحايك" و"البرنس" والمسبحة والمظلة، واستخدم ديلاكروا في رسوماته ألوانا زاهية تركت أثرها على المخيلات، متخليًا عن الألوان الداكنة التي كان يستخدمها قبل مجيئه إلى المغرب.

التاسع عشر عن الشرق عموما والمغرب بشكل خاص، كما بذل جهدا سياسيا للتقريب بين فرنسا والمغرب خلال فترة حكم السلطان مولاي عبدالرحمن والملك لويس فيليب. ورحبت المحافظة العامة بمتحف اللوفر، دومينيك دوفنت ريو، بالمشروع المغربي لتكريم ديلاكروا، مشيرة إلى أن هذه الندوة تعد تظاهرة استثنائية تتناول حدثا مهما في التاريخ الثقافي والفني العالمي، وتحديدا في شقه المتعلق بالمغرب وفرنسا.

وجاءت رحلة ديلاكروا التي استمرت لخمس أشهر ضمن بعثة دبلوماسية إلى الملك لويس فيليب الأول بباريس إلى السلطان مولاي عبدالرحمن نهاية سنة 1831، حيث جرت العادة آنذاك أن يرافق كتاب ورسامون البعثات الدبلوماسية من أجل توثيق الأحداث.

وما فتئت أن مثلت رحلة ديلاكروا إلى المغرب سنة 1832 نموذجا لرحلة الفنان، حيث شكلت مصدر إلهام للرسام الفرنسي وخلفت تأثيرا دائما على الإبداع في المغرب وفرنسا والعالم، باعتبارها مغامرة فنية خلقت روابط بين البلدين وفناني العالم.

وخلال الجلسة الافتتاحية للندوة قدمت دوفنت ريو عرضا شاملا للوحات التي رسمها أوجين ديلاكروا، وصورا لبعض التحف المغربية التي جلبها معه من رحلته إلى المغرب والتي أثارت إعجابيه، مبرزة ذلك بشرح مستفيض للسياق والدلالات الخاصة بتلك الأعمال.

ذكريات مغربية

تقدم لوحات ديلاكروا صورة عن المغرب في القرن التاسع عشر. ولا تعكس هذه اللوحات الأشياء المادية والبارزة فقط بل تعكس في ثناياها الطبيعة المغربية وما تحمله من تسامح وتنوع ثقافي وديني.

وتحدث عن ذلك الكاتب والمتخصص في الصوفية محمد فوزي الصقلي العلمي، قائلا إن "حفل الزفاف اليهودي في المغرب هو حدث ينطوي على تنوع ثقافي وديني متجذر في هذا البلد الذي ارتسم في خيال أوجين ديلاكروا ومخيلته".

ويقدم الصقلي حديثه لوحة زفاف يهودي في المغرب التي رسمها ديلاكروا في عام 1839 بناء على مجموعة ملاحظات ورسومات بقيت في ذاكرته خلال حضوره حفل زفاف لعائلة يهودية بطنجة. ووفق الصقلي، كانت هذه اللوحة انعكاسا للشرق الآخر الذي يتجلى في عرس يهودي موريسكي يتجاوز الغرابية ويبرز تنوع الثقافات والعادات والديانتين اليهودية والإسلامية.

كما أبرز الدور الذي اضطلعت به الشخصيات الصوفية التي التقاها الفنان خلال مقامه بالمغرب، وتحديدا السلطان مولاي إسماعيل الذي سمح للطوائف الدينية بأن تزدهر كمراكز روحية، والأمير عبدالقادر وصاء العينين، والذين كانوا يعدون رمزا للشهامة الروحية وقيم النبذ والتواضع. وأضاف الكاتب المتخصص في الصوفية أن ديلاكروا كان، قبل مجيئه

تعتبر لوحة زفاف يهودي بطنجة لأوجين ديلاكروا من أبرز اللوحات التي تعكس تأصل ثقافة التسامح الديني والتنوع الثقافي في المغرب. وهذه اللوحة هي واحدة من مجموعة رسومات أرخ من خلالها الفنان الرسام الفرنسي الثقافة المغربية في القرن التاسع عشر ونقلها إلى الغرب. وتحضر هذه اللوحة ضمن بقية أعمال ديلاكروا في ندوة دولية في الرباط تناولت موضوع "اللوحات المغربية لأوجين ديلاكروا من 1832 إلى 1863". وترمي هذه الندوة إلى طرح مقاربات من زوايا معرفية متعددة لاكتشاف العمل الفني لأوجين ديلاكروا، وللتعرف على شخصيته في لحظة حاسمة من تاريخ المغرب ضمن الإشكالية المعقدة المتعلقة بدراسة التمثلات، فضلا عن إبراز العطاء الذي ساهم به في الإبداع الفني والأدبي، وكذلك تسليط الضوء على تاريخ المغرب بعيون خارجية.

الرباط - ربطت الرسام الفرنسي أوجين ديلاكروا (1798 - 1863) علاقة خاصة بدول شمال أفريقيا، وبشكل خاص المغرب الذي زاره سنة 1832. وقضى عدة أشهر رسم خلالها مجموعة كبيرة من اللوحات التي عكست تطور نظريته في الألوان وقد تركت الرحلة تأثيرها على مسيرة ديلاكروا الفنية.

وعبر لوحاته احتفى ديلاكروا، بمدح لوحة الحرية تقود الشعب، بالمغرب والوانه ونقل ثقافته إلى الغرب. واليوم، يعيد المغرب إحياء ذكرى هذا الفنان الذي يقول عنه رئيس المؤسسة الوطنية للمتاحف في المغرب، المهدي قطبي إنه كان خير سفير لبلاده، وتمكن من نقل ثقافة المغرب والوانه وأنواره إلى الغرب.

ويستضيف المغرب في العام 2020 معرضا مركزيا للرسام الفرنسي، تسبقه ندوات وفعاليات منها ندوة افتتحت الأربعاء 11 أغسطس 2019 بمقر أكاديمية المملكة المغربية بالرباط، حول موضوع "اللوحات المغربية لأوجين ديلاكروا من 1832 إلى 1863".

وتعد هذه الندوة، التي تنظم خلال أيام 11 و12 و13 سبتمبر الجاري، محطة للنقاش وتبادل الآراء حول العالم الفني للرسام الفرنسي، الذي يحتضن بالوانه وموضوعاته صورا مغربية خلال زيارته له ضمن مهمة دبلوماسية، أتاحت له بذل جهد منجذ في التأليف واستخدام ألوان زاهية لفتح العديد من النوافذ على هذا العالم الشرقي الذي يزوره من جديد.

وتحدث عن ذلك الكاتب والمتخصص في الصوفية محمد فوزي الصقلي العلمي، قائلا إن "حفل الزفاف اليهودي في المغرب هو حدث ينطوي على تنوع ثقافي وديني متجذر في هذا البلد الذي ارتسم في خيال أوجين ديلاكروا ومخيلته".

ويقدم الصقلي حديثه لوحة زفاف يهودي في المغرب التي رسمها ديلاكروا في عام 1839 بناء على مجموعة ملاحظات ورسومات بقيت في ذاكرته خلال حضوره حفل زفاف لعائلة يهودية بطنجة. ووفق الصقلي، كانت هذه اللوحة انعكاسا للشرق الآخر الذي يتجلى في عرس يهودي موريسكي يتجاوز الغرابية ويبرز تنوع الثقافات والعادات والديانتين اليهودية والإسلامية.

كما أبرز الدور الذي اضطلعت به الشخصيات الصوفية التي التقاها الفنان خلال مقامه بالمغرب، وتحديدا السلطان مولاي إسماعيل الذي سمح للطوائف الدينية بأن تزدهر كمراكز روحية، والأمير عبدالقادر وصاء العينين، والذين كانوا يعدون رمزا للشهامة الروحية وقيم النبذ والتواضع. وأضاف الكاتب المتخصص في الصوفية أن ديلاكروا كان، قبل مجيئه

تعتبر لوحة زفاف يهودي بطنجة لأوجين ديلاكروا من أبرز اللوحات التي تعكس تأصل ثقافة التسامح الديني والتنوع الثقافي في المغرب. وهذه اللوحة هي واحدة من مجموعة رسومات أرخ من خلالها الفنان الرسام الفرنسي الثقافة المغربية في القرن التاسع عشر ونقلها إلى الغرب. وتحضر هذه اللوحة ضمن بقية أعمال ديلاكروا في ندوة دولية في الرباط تناولت موضوع "اللوحات المغربية لأوجين ديلاكروا من 1832 إلى 1863". وترمي هذه الندوة إلى طرح مقاربات من زوايا معرفية متعددة لاكتشاف العمل الفني لأوجين ديلاكروا، وللتعرف على شخصيته في لحظة حاسمة من تاريخ المغرب ضمن الإشكالية المعقدة المتعلقة بدراسة التمثلات، فضلا عن إبراز العطاء الذي ساهم به في الإبداع الفني والأدبي، وكذلك تسليط الضوء على تاريخ المغرب بعيون خارجية.

الندوة تعد مناسبة متجددة لإعادة اكتشاف الأعمال التي خلدها أوجين ديلاكروا حول المغرب في مرحلة تاريخية عرفت جملة من التفاعلات الثقافية والتمثلات الفكرية